محاضرة رقم (٣)	
الكلية	التربية للعلوم الانسانية
القسم	اللغة العربية
المادة باللغة الانجليزية	Dialects
المادة باللغة العربية	اللهجات
المرحلة	دكتوراة/ لغة
اسم التدريسي	أ. د. جاسم محمد سهيل
عنوان المحاضرة باللغة الانجليزية	Difficulties in studying ancient Arabic dialects
عنوان المحاضرة باللغة العربية	الصعوبات في دراسة اللهجات العربية القديمة
رقم المحاضرة	(٣)
المصادر والمراجع	اللهجات العربية ، إبراهيم محمد نجا.
	اللهجات العربية المذمومة: دراسة وصفية صوتية ، عصام نور الدين.
	اللهجات العربية في معاني القرآن للفراء ، صبحي عبد الحميد محمد.

مدارسهم و جامعاتهم لتساير المد الاستعماري ، مُستعينين بذلك بالمستشرقين المتخصصين بدراسة اللهجات .

وقد درس هؤلاء المستشرقون العاميَّات العربية في جامعاتهم كإيطاليا وفرنسا والنمسا وروسيا وألمانيا والمجر وإنجلترا وقد ساير حركة تعليم العاميات العربية إصدار كتب لهؤلاء المستشرقين في اللهجات الحديثة مثل : أصول اللغة العربية العامية والفصحى للمستشرق الفرنسي دي سفاري ، وقواعد العربية العامية في مصر للمستشرق الألماني ولهلم سبيتاط ، ولغة بيروت العامية للمستشرق الفرنسي أمانويل مانسون ...وغيرها[1]. بل كان من مظاهر اهتمامهم بدراسة تلك اللهجات أن عيَّنوا مدرِّسين عرب في الجامعات الأوربية لتدريس اللهجات العربية والتأليف فيها ، مثل إلياس بقطر أول مدرس شغل كرسي العربية العامية بمدرسة اللغات الشرقية بباريس سنه ١٨٢٠م وغيره[2].

٧. الصعوبات في دراسة اللهجات العربية القديمة.

يُمكن تلخيصها على النحو الآتي:

أ- انصراف العلماء عن تسجيل اللهجات القديمة وأصواتها ، وما روي منها لم يتعدَّ الملاحظات العابرة في أثناء كتب التفسير والقراءات والأدب والمعجمات... ونحو ذلك.

فلم تُعنَ الدراسات القديمة عناية جادة باللهجات العربية القديمة، وما ورد عنهم في هذا المجال لا يعطي صورة كاملة عن اللهجات بكل تفاصيلها.

---

(١) تقدَّم ذكر عدد منها في مبحث: روافد للبحث في اللهجات وما يتعلَّق بها.

(٢) يُنظَر: كتاب الفصحى ونظرية الفكر العامي ٣١_٣٥ ، وكتاب اللَّحْن في اللغة العربية ليوسف المطوَّع ٥١.

تنبيه: سيأتي الحديث عن اللهجات العربية الحديثة في مبحث خاص ، وبيان التجاذب في دراستها بين القبول والرفض.

٢. وردت كثير من اللهجات غير معزوة إلى قبائلها ، واكتفاؤهم بعبارة (هي لغة) ونحو ذلك.

٣. عدم وجود رموز كافية لتسجيل دقيق لبعض الظواهر الصوتية كالإمالة والإشمام ... ونحوهما.

٤. عدم الدِّقة في جمع المادة اللهجية ، واختلاطها بالعربية الأدبية ولا سيما في المعجمات العربية.

٥. تسرُّب الوهم والخطأ والتصحيف والتحريف إلى بعض ما جُمِعَ من مادة اللهجات.

٦. تناثر مادة اللهجات في مصادر متنوعة ولدى تخصصات مختلفة ، وعدم جمعها في كتاب واحد ، مما يتطلب تصفح جميع المؤلفات السابقة.

٧. عدَّهم لهجة قريش أفصح اللهجات ، جعلهم يخلعون على اللهجات الأخرى أوصافًا مثل: لهجة فصيحة ، أو قبيحة ، أو ضعيفة ، أو رديئة ، أو شاذة... أو نحو ذلك. فهُم لم يولوا عنايتهم إلا بلهجة قريش ، فباقي اللهجات لم يعطوها ما تستحق من الدراسة والعناية بها.

٨. **موقف علماء العربية من اللهجات.**

لا شكَّ في أنَّ المصدر الأول للهجات هي القبائل التي أُخِذَت عنها تلك اللهجات ، وكان لعلماء العربية مقاييس اعتمدوا الأخذ بموجبها عن قبائل معيَّنة[1] فأكثر ما أخذوا اللغة عن قيس و تميم و أسد فإنَّ هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أُخِذَ ومعظمه وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب وفي التصريف ، ثم هُذَيل وبعض كنانة و بعض الطائيين ، وقدَّموا على هؤلاء لغة الحجاز ؛ لأنهم كانوا يرون أنَّ قريشًا أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ و أسهلها على اللسان عند النطق بها و أحسنها مسموعًا و إبانة عمَّا في النفس[2].

---

(١) ولكن هذه القبائل التي أخذوا منها لا تُمثِّل العربية تمثيلًا كاملًا.

(٢) بل يلاحظ أنهم رأوا أنه كلما قربت القبيلة من بيئة قريش كانت أقرب إلى الفصاحة و إلى الأخذ بكلامها ، وعلى قدر توغُّل القبيلة في البداوة تكون فصاحتها.

و استبعدوا قبائل لم يأخذوا منها مثل: لخم وجذام وقضاعة وغسّان وإياد وتغلب وبكر وعبد القيس وأزد عمان وأهل اليمن وبني حنيفة وثقيف. فضيّقوا على أنفسهم متّسعًا كما أنَّ اهتمامهم بلهجة الحجاز وتميم ضيَّع عليهم لهجات كثيرة أخرى[1].

ومع كل هذه القيود التي وضعوها فإننا نجد لهجات القبائل التي رفضوا الأخذ منها متمثلة في المصادر العربية الموجودة بين أيدينا.

والناظر في اللهجات التي وصلت إلينا يلاحظ أنَّ العلماء تعاملوا معها على النحو الآتي:

١. الموقف الأول: هو أن يذكر اللغوي أو النحوي عدة لهجات دون أن يفضِّل إحداهما على الأخرى، من ذلك مثلًا ما ذكره الخليل قائلًا: ((وقد وَجَعَ فلانٌ رأسه أو بطنه ، وفلانٌ يَوْجَعُ رأسه، وفيه ثلاث لغات: يَوْجَعُ و يَيْجَعُ و يَاجَعُ، ومنهم من يكسر الياء فيقول: يِيجَعُ ، وكذلك تقول: أنا إيجَعُ وأنتَ تِيجَعُ))[2].

٢. الموقف الثاني: المفاضلة بين اللهجات

وفيه يذكر اللغويون أو النحويون اللهجتين ثم يفاضلون بينهما ومثال ذلك قال الخليل: ((لَصِقَ يَلصَقُ لُصُوقًا، لغةُ تميم، ولَسِقَ أحسنُ لقَيسٍ، ولَزِقَ لربيعة وهي أقبحها...))[3] .

٣.الموقف الثالث: الحكم برداءة اللهجات

---

(١) ذكر الباحثون أنَّ البصريين هم الذين قيَّدوا جمع مادتهم اللغوية بقبائل معيَّنة للأخذ منها وتركوا ما عداها ، محتجين بفساد لغتها ، وكانوا يسمون هذه القبائل في اللغات الشاذة التي لا يُعمَل بها ، أما الكوفيون فإنهم كانوا يوثقون كل العرب على السواء ، ويعدون ما ورد عنهم حجة فيعتدون بأقوالهم ويؤسسون عليها نحوهم وقواعدهم. فالكوفيون وسَّعُوا الدائرة فأخذوا عن قبائل لم يرضَ البصريون أن يأخذوا منها.

تنبيه: يلاحظ أنَّ علماء العربية خلطوا بين اللهجات عند جمعهم لها.

(٢) العين: ١٨٦/٢ مادة (وجع) .

(٣) العين: ٦٤/٥ مادة (لصق) .

وصفت طائفة من اللغويين والنحويين ظواهر لهجية عدَّة بأنَّها رديئة وقبيحة... وغير ذلك من الأوصاف التي حفلت بها مصادر دراسة اللهجات. ومثال ذلك قال الخليل: ((...رجلٌ كسلانٌ، وامرأة كَسْلَى، وكسلانة، لغة رديئة))[1]. وقال أيضًا: ((كالَ البُرَّ يكيلُ كَيلًا والبُرُّ مَكِيلٌ، ويجوز في القياس: مَكيُول، ولغة بني أسد مَكُول وهي لغة رديئة، ولغة أردأ: مُكال))[2].

أولًا: مصادر دراسة اللهجات العربية القديمة

لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ اللغويين الأقدمين لم يعرضوا اللهجات العربية القديمة في العصور المختلفة عرضًا مفصَّلًا لنقف على الخصائص التعبيرية والصوتية لتلك اللهجات، فلم نعرف كتابًا واحدًا تخصَّص في دراسة اللهجات العربية القدمة، لكن كتب التراجم تشير إلى أنهم عرفوا نوعًا من الكتب أطلقوا عليها كتب اللغات، منها:

١. اللغات، ليونس بن حبيب (١٨٢هـ)
٢. اللغات، للفرَّاء (٢٠٧هـ)
٣. اللغات، لأبي عبيدة (٢١٠هـ)
٤. اللغات، لأبي زيد (٢١٥)
٥. اللغات للأصمعي (٢١٦هـ)
٦. السبب في حصر لغات العرب، لحسين بن مهذب المصري (٦٥٠هـ) ... وغيرها

وكل هذه الكتب التي تعد أصولًا للهجات القبائل العربية لم تصل إلينا إلى كتابة هذه السطور[3]. وقد وصلت إلينا نصوص منثورة[4] من هذه الكتب في المعجمات العربية

---

(١) العين: ٥/ ٢١٠ مادة (كسل) .

(٢) العين: ٥/٤٠٦ مادة (كيل) .

(٣) لذلك قال بعض الباحثين: لا نعلم إن كانت هذه الكتب مؤلفات في اللهجات أو كانت نوعًا من المعاجم.

(٤) من ذلك ما نقله ابن دريد في معجمه جمهرة اللغة من كتاب اللغات لأبي زيد الأنصاري ((يقال: الذِّكر والذِّكْر ، وتذكَّر والفِكر والفِكْرة ، ويقال: سرَقَ سَرْقًا وسرَقًا وسرِقًا)) . يُنظر: جمهرة اللغة: ٣/١٢٩٥.

واتضح منها أنها كانت نوعًا من المعجمات وأنَّ مؤلفيها لم يكونوا يهتمون إلا في القليل بعزو اللهجات إلى أصحابها.

وتذكر كتب التراجم أيضًا أنهم ألَّفوا في نوع أخص من ذلك وهو كتب اللغات في القرآن، منها:

١. لغات القرآن للفراء[1].
٢. لغات القرآن لأبي زيد.
٣. لغات القرآن للأصمعي... وغيرها.

ولم يصل إلينا منها إلا كتابان، أحدهما: لأبي عبيد القاسم بن سلَّام (٢١٤هـ) بعنوان (ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل) .

والآخر: كتاب اللغات في القرآن، أخبر به إسماعيل بن عمرو المقرئ (٤٢٩هـ).

والكتابان يتفقان في المنهج فهما يتناولان اللهجات على المستوى الدلالي، من نحو (رغدًا) الخصب بلغة طيئ، و(الصاعقة) الموت بلغة عُمان... إلخ.

وليس فيهما إلا قليل جدًا على المستوى الصوتي من نحو (قرَّح) بالفتح لغة الحجاز، وبالضم لغة تميم. فهذان الكتابان يهتمان بالنواحي الدلالية أكثر من غيرها.

استقاء اللهجات العربية القديمة منها، وأهم مصادر دراسة هذه اللهجات هي:

١. كتب القراءات القرآنية متواترها وشاذها، وكتب الاحتجاج بها.
٢. كتب تفسير القرآن.
٣. كتب معاني القرآن وإعرابه.
٤. المعاجم اللغوية العامة: وهي مصدر مهم لدراسة اللهجات، ولكن كثيرًا منها لم يهتم بعزوها إلى قبائلها بل يكتفون بقولهم: لغة فيه عند بعض العرب... إلخ.
٥. المعاجم اللغوية الخاصة: مثل كتاب المطر لأبي زيد وغيره كثير.

---

(١) عثر مؤخرًا أحد الباحثين على نسخة منه، وهي ناقصة.

٦. كتب النوادر والأضداد والمذكر والمؤنث والمشترك والمترادف.

٧. كتب اللغة والنحو والصرف.

٨. كتب الأدب بما في ذلك شروح الدواوين.

٩. كتب الأمثال.

١٠. دواوين شعراء القبيلة[١].

١١. كتب الحديث النبوي وشروحها [وكتب غريب الحديث وإعراب الحديث أيضًا].

ثانيًا: تعريف موجز بشبه الجزيرة العربية[٢]: حدودها وأقسامها.

اختلفت المصادر العربية في بيان الحدود الجغرافية لشبه الجزيرة العربية وأقسامها، وسأكتفي بالحديث عن التقسيم الخماسي بحسب ما ذهب إليه جغرافيّو العرب القدماء، وفي ضوئه ستبرز طبيعة الجزية وتكوينها الجغرافي[٣].

١. تِهامة: تطلق على الساحل المحصور بين البحر الأحمر وجبال السراة أو الحجاز ؛ ولانخفاض أرضها قيل لها: الغَور أو السافلة.

٢. نَجد: يجدها البحرين شرقًا، والحجاز غربًا، وبادية الشام شمالًا، واليمن جنوبًا فهي بذلك الهضبة التي تكون قلب الجزيرة، أعلاها تِهامة واليمن، وأسفلها العراق والشام.

---

(١) لتفصيل الكلام على ذلك راجع كتاب اللهجات العربية في التراث ١/١٠٣-٢٣١ لأحمد علم الدين الجندي.

(٢) سُميت بذلك لإحاطة البحار بها من أغلب أقطارها وأطرافها، فصارت هذه الأراضي كجزيرة من جزر البحر.

(٣) حدَّد الجغرافيون شبه جزيرة العرب فقالوا: إنها يحدها من الشمال الأردن والعراق، ومن الجنوب المحيط الهندي، ومن الشرق الخليج العربي وخليج عُمان، ومن الغرب البحر الأحمر. وبعبارة أخرى الآخرين من الجغرافيين: يحدها غربًا البحر الأحمر وشبه جزيرة سيناء، وشرقًا الخليج العربي وجزء من بلاد العراق الجنوبية، وجنوبًا بحر العرب الذي هو امتداد لبحر الهند، وشمالًا بلاد الشام وجزء من بلاد العراق، عللا اختلاف في بعض هذه الحدود.

٣. الحِجاز: سمي بذلك لأنه حجز[١] بين تِهامة ونجد، يحد الحجاز بلاد عسير جنوبًا، وصحراء نجد شرقًا، وسورية شمالًا، والبحر الأحمر غربًا. ومن مدن الحجاز وقراه مكة والمدينة وجُدَّة والحجر وخيبر والطائف.

٤. العَرُوض: تتضمن اليمامة والبحرين وما والاهما، وسميت عَرُوضًا؛ لأنها تعترض ما بين نجد واليمن.

٥. اليمن: حدودها بين عمان إلا نجران ومن بحر العرب إلى عدن إلى الشِّحر.

ومناطق التحضر والاستقرار في شبه الجزيرة العربية توجد في اليمن وفي بعض تِهامة والحِجاز، ومناطق التبدي توجد في نَجد والعَرُوض.

ثالثًا: نُبذة عن القبائل العربية الكبرى[٢] ومنازلها:

يقسم بعض المؤرخين والنَّسَّابين العرب على قسمين:

١. العرب البائدة: هم العرب القدامى الذين لم يتمكن الحصول على تفاصيل كافية عن تاريخهم ؛ لأنهم بادوا ودرست آثارهم ، وانقطعت تفاصيل أخبارهم مثل عاد وثمود... إلخ ، ولا نعرف عن العرب البائدة شيئًا إلا ما قصه علينا القرآن الكريم من أخبارهم.

٢. العرب الباقية ، وهم قسمان:

القسم الأول: العرب العاربة[٣] أو عرب الجنوب أو العرب القحطانية وهم بنو قحطان ، وهم عرب اليمن ، ومن أشهر قبائلهم:

١) جُرْهُم: وكانت منازلهم أولًا باليمن ثم انتقلوا إلى الحجاز فنزلوه وأقاموا به.

٢) يَعرُب: ومن يعرب تشعبت القبائل والبطون من فرعين كبيرين هما:

أ- حِمْير. ب- كهلان.

---

(١) أي منع.

(٢) اقتصرتُ على ذكر المشهور منها.

(٣) هو من باب التأكيد كقولهم: ليل لائل، فهم العرب الخلص.